برنامج [ قـرآنـهـم ] - الحلقة ( 19 )
سورة الأعراف – ج 16
الثلاثاء : 2 شوال 1438هـ عيد الفطر المبارك 2017/6/27م

✤ وصلنا عند الآيات من سُورة الأعراف التي تَرتبط بقصّة لوط النبي وقومه: {ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها مِن أحدٍ مِن العالمين* إنّكم لتأتونَ الرجال شهوةً من دُون النساء بل أنتم قومٌ مسرفون* وما كان جواب قومه إلّا أن قالوا أخرجوهم مِن قريتكم إنّهم أُناسٌ يتطهّرون} تقدّم الحديث عن هذا العمل الشنيع الذي كان يُمارسه قوم لوط والذي يُؤدّي إلى هدم البناء التكويني الفطري عند الإنسان.

✤ وصل بي الحديث إلى تَوقيع اسحاق بن يعقوب، الرسالة التي وردتْ مِن طريق السفير الثاني من سفراء الغَيبة الصُغرى وقد جاءتْ لاسحاق بن يعقوب بخطّ إمام زماننا.. من ضمن جاء في هذه الرسالة الشريفة:
(وأمّا أبو الخطاب مُحمّد بن أبي زينب الأجدع فملعونٌ، وأصحابُه ملعونون، فلا تُجالس أهل مقالتهم فإنّي منهم بريء وآبائي منهم برآء)
أبو الخطّاب كان مُعاصراً للإمام الصادق وكان من أصحابه ولكنّه ضلّ وذهب بعيداً في ضلاله ومات ملعوناً ضالاً وقصّته طويلة.
هذا الرجل الضال أبو الخطّاب قتله العبّاسيون في زمان الإمام الصادق، ولكن منهج ضَلالته بقي موجوداً إلى زمان هذه الرسالة، بحيث أنّ إمام زماننا يقول: (فلا تُجالس أهل مَقالتهم) فهو لا يتحدّث عن أبي الخطّاب نفسه وعن أتباعه الذين عاشوا في زَمان الإمام الصادق، وإنّما يتحدّث عن أهل مَقالتهم (أي الذين يعتقدون بنفس عقيدتهم). وهؤلاء مُستمرّون إلى يومنا هذا، وينتشرون في الوسط الشيعي.. فهناك بالفعل مجموعات من هؤلاء الخطابية في الوسط لا يعرفون بعضهم بعضاً ولا علاقة لبعضهم بالبعض الآخر.

■ الذي قادني للإشارة إلى رسالة اسحاق بن يعقوب هو الشبه من بعض الجهات بين الخطّابيين واللّوطيين، وإن كان اللّوطيّون مِن قوم لوط أخفُّ سوءاً من الخطّابيين، وهذا يتّضح من نفس الآيات القرآنية حين تقول الآيات: {وما كان جواب قومه إلّا أن قالوا أخرجوهم مِن قريتكم إنّهم أُناسٌ يتطهّرون} فهؤلاء قوم لوط أثبتوا دين لوط وعائلته، وأثبتوا إيمانهم، وأثبتوا طهارتهم، وفي نفس الوقت أثبتوا نجاسة أنفسهم!
الخطّابيون في زَماننا هؤلاء ينسبون اللّواط إلى أهل البيت، ينسبون اللّواط إلى صاحب الأمر!
فقطعاً هناك فارق كبير بين قوم لوط الذين قالوا عن نبيّهم وعن عائلته أنّهم أُناسٌ يتطهّرون.. بينما هؤلاء الخطّابيون عقيدتهم أنّ هذا الشخص الذي يَرونه إماماً لهم يُمارس اللّواط وهو الذي أباح لهم اللّواط.. فهم ينسبون اللّواط إلى صاحب الأمر!!

■ أيضاً تناولتُ في الحلقة الماضية ما جاء في الدعاء الذي يُقرأ بعد زيارة الإمامين العسكريين، ممّا جاء فيه:
(واجعل لعائنك المستودعة في مناحس الخلقة، ومشاويه الفطرة، دائرة عليهم، ومُوكّلة بهم، وجاريةً فيهم كلّ صباحٍ ومساء، وغدوّ ورواح..)
الدُعاء هنا لسانه هكذا يقول: أنّي مُتوجّهٌ إلى الله تعالى أن يستخرج اللّعنات من مُستودعها، وأن يصبّ هذه اللّعنات على إبليس وولده وأتباعه وجنوده. هذه اللّعنات المُستخرجة من مُستودع اللّعنة لها مِن القوّة بحديث أنّ الدُعاء يقول عنها أنّها (دائرةً عليهم - أي على إبليس وجنوده - ومُوكّلة بهم، وجاريةً فيهم كلّ صباحٍ ومساء، وغدوّ ورواح..). فأيّ لعنةٍ هذه التي حينما تُستخرج من مُستودعها هكذا تفعلُ بإبليس وأتباعه!
السؤال هنا: أيّ مُستودعٍ للعنة هذا؟
من مصاديق مناحس الخِلقة ومَشاويه الفِطرة هُم اللّواطون مِن أيّ ملّةٍ كانوا.. فما بالُك بهؤلاء الذين جعلوا اللّواط دِيناً وعِبادةً يتقرّبون بها إلى الله وينسبونها إلى آل محمّد! فهؤلاء الخطّابية سيكونون أسوأ مجاميع اللّوطيين! فهؤلاء سيكونون مُستودعاً للّعنة.
هذا هو السبب الذي يكون وراء هذه الأحكام.. كما قال إمام زماننا: (فلا تُجالس أهل مَقالتهم) فِرّوا منهم فهؤلاء مُستودع للّعنة، ومناحس الخلقة، ومشاويه الفطرة

■ وحتّى ما جاء في حُكم الزوجة الشيعية الموالية لإمام زمانها إذا كانت مُتزوّجة من خطّابي فلا يحلّ لها البقاء معه، وعليها أن تنفصل عنه وتعتدّ عدّة الوفاة وليس عدّة الطلاق.. للتطهير أكثر، ولجعل الفاصلة أقوى، وأن تُعامله مُعاملة الميّت لذلك تعتدّ عدّة الوفاة.

■ ما جاء في سُورة الذاريات هذا الوصف وصفٌ خطير {فما وجدنا فيها غير بيتٍ مِن المسلمين} الآيات هنا تُخرج اللّوطيين من وصف الإسلام!

قطعاً باعتبار أنّ النبي قد أقام عليهم الحُجَج، قد يكون من الّلوطيين مَن لم تقم عليه الحُجج فلا يشملهُ هذا المعنى.. فالقصّة هنا قصّة نبيّ مع قومه أقام عليهم الحجج تلو الحُجج، أمّا الخطّابيين فحالهم أسوأ كما مرّ.

■ الآية 84 مِن سورة الأعراف {وأمْطَرنا عليهم مَطَراً فانظرْ كيف كان عاقبةُ المُجرمين} تتحدّث عن عاقبة قوم لوط ومرّ الحديث بشأنها.. الآية التي بعدها تنقلنا إلى قصّة شعيب النبي:

{وإلى مَدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره قد جاءتكم بيّنة مِن ربّكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إنْ كنتم مؤمنين}

مدين: اسم لبلد تقع في بلاد الشام.

بيّنتُ في الحلقات الماضية مِن أنّ النبوّات التي جاء ذكرها في الكتاب الكريم تتّخذ خطوطاً واتّجاهات.. الخط الآدمي ما بين أبينا آدم إلى نوح النبي ويستمر، ولكن يُمكن أن نُسمّي ما بعد نوح النبي نُسمّي هذا الخطّ بالخطّ النوحي نسبة إلى النبي نوح.

فالخط الآدمي يقع فيه هابيل وبعد ذلك هبة الله، والتسلسل الأنبيائي المُتواصل إلى نوح النبي عِبْر إدريس النبي فنوح، هود، وصالح، وشُعيب أيضاً هو في هذه السلسلة.. فشُعيب ليس في سلسلة الخطّ الإبراهيمي وإنّما في سلسلة الخطّ الآدمي..لوط هو في سلسلة الخط الإبراهيمي.

● قوله: {وإلى مَدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره}

الشعارات والدعوة والألفاظ والمضامين هي هي.. قطعاً الأنبياء جميعاً شعاراتهم ومضامينهم هي هي، ولكن قد تكون هناك اختلافات بحسب خُصوصيّة كلّ نبي، وشؤون كلّ أُمّة بُعث إليها ذلك النبي زماناً، مكاناً، ظُروفاً، وسائر المُلابسات الأخرى التي ترتبط بحياتهم وبثقافتهم وعاداتهم.

لكن الصياغة القُرآنية التي عنونتْ دعوةَ نوح، ودعوة هود، وكذلك دعوة صالح.. هناك استمرارية على نفس الألفاظ ونفس المُصطلحات.. والقرآن يُبين لنا ذلك يُريد أن يُشير إلى هذه الحقيقة: مِن أنّ هذه المجموعة من الأنبياء تُشكّل خطّاً واحداً هو الخطّ الآدمي.

● {قد جاءتكم بيّنة مِن ربّكم} البيّنة التي جاءتهم مِن ربّهم هو شعيب نفسه، بعلمه، بدعوته، ببراهينه، وبما صدر من مُعجزة على يده. (كُل الأقوام طالبوا أنبياءهم بِمعجزات). الآية تتحدّث عن بيّنة جاءتهم وتفرّع على ذلك أنّ نبيّهم يُطالبهم بأن يُوفوا الكيل والميزان.

● قوله: {فأوفوا الكيل والميزان} الفارق بين الكيل والميزان هو:

● أنّ الميزان قد يكون اسماً للآلة التي نزن بها الأشياء، وقد يكون اسماً وعنواناً لنفس عملية الوزن بغضّ النظر عن الآلة، فهو منظومة لوزن الأشياء

● أمّا الكيل: فهو عنوانٌ لآليّة حساب ومعرفة مقادير ما يُكال.. الذي يُكال هو الذي يُعرف مِقداره بآلة المكيال، والمكيال أي وعاء من الأوعية بحسب اتّفاق أهل البيع والشراء. عملية الكيل هي عملية تقدير شيء بواسطة المكيال.

● قولهِ: {ولا تبخسوا الناس أشياءهم} أي لا تُنقصوها. الذي كان يفعلهُ قوم شعيب هو أنّهم كانوا إذا اشتروا مِن أحدٍ شيئاً وزنوه بالتمام والكمال على أحسن وجهاً، ولكنّهم إذا ما باعوا شيئاً للآخرين أنقصوا في كيلهم وميزانهم (غشّوا في ذلك)! عملية الظلم والانقاص هذهِ وعملية بخس الناس أشياءهم هذه تقع في سلسلة جرائم تُؤدّي إلى إفساد الأرض.. وقد مرّ علينا الحديث في عملية إفساد الأرض وإصلاحها.

● محمّد وعليّ مقدمة لمشروع كبير هو مشروع إمام زماننا، والذي يتلخّص في عنوان واضح أنّه (يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً) مُلئتْ ظُلماً بجميع أنواع الظُلم، وأحد أشكال هذا الظلم في سلسلة الجرائم والأخطاء التي تُؤدّي إلى الإفساد في الأرض هو هذا المعنى الذي تتحدّث عنه هذه الآيات. وقطعاً الافساد في الأرض على درجات:

فهذا الظُلم في الكيل والوزن هو إفساد.. وقتلُ الحسين إفساد. والإلتزام بالقوانين العادلة في الكيل والميزان قسطٌ وعدل.. وظهور إمام زماننا قسط وعدل. فالإفساد مراتبهُ كثيرة، ويُقابله الإصلاح أيضاً مراتبه كثيرة.

■ قوله: {ولا تقعدوا بكلّ صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله مَن آمن به وتبغونها عِوَجا واذكروا إذْ كنتم قليلاً فكثّركُم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين}. المُشكلة هي هي في هذهِ الأُمّة (أُمّة شعيب) وفي الأُمم السابقة وفي الأمم اللّاحقة أيضاً. من هنا جاء ذكْر هذه الأحداث وهذه الوقائع.. فما جرى في الأُمم السالفة يجري في هذه الأمّة ونبيّنا الأعظم هو الذي يُخبرنا أنّ ما جرى في الأُمم السابقة يجري في هذه الأُمّة حذوَ النعل بالنعل وحذوَ القذّة بالقذّة باعاً بباع وذراعاً بذراع حتّى أنّهم لو دخلوا جُحْر ضبّ لدخلتم فيه.

ومِن هُنا أُمرنا أن ننظر في هذهِ القصص والحكايات والوقائع لأجل الاعتبار بها والاعتبار منها.. ونفس هذهِ المضامين مرّت فيما سلف مِن آيات سورة الأعراف كما في قولهِ تعالى: {وأذّن مُؤذّن بينهم أن لعنة الله على الظالمين} وأوّل العناوين التي أُشير إليها في هذه السُورة هم أصحاب الجمل (والجمل جملهم) هؤلاء كانوا يصدّون على سبيل الله ويبغونها عوجاً.

● {ولا تقعدوا بكلّ صراط توعدون وتصدون - أي تمنعون - عن سبيل الله مَن آمن به وتبغونها عِوَجا} تُوعدون هو الوعيد والوعيد هو التهديد، تُهدّدون مَن آمن بالله. وسبيل الله في ثقافة أهل البيت هم عليّ وآل عليّ.. كما نقرأ في دُعاء الندبة الشريف: (أين السبيلُ بعد السبيل...أين الحسنُ أين الحُسين أين أبناء الحُسين..) التعابير هي هي.. وقطعاً في كلّ أمّة من الأُمم السابقة هذهِ المعاني تتجلّى لهم بِحَسبهم، فسبيلهم في زَمانهم هو نَبيّهم، ونَبيّهم جوهر دينه وجوهر نبوّته: الولاء لمُحمّد وآل مُحمّد

● قوله {واذكروا إذْ كنتم قليلاً فكثّركُم} القِلّة عُنوانٌ للضعف، وعنوانٌ للفَقر، وعُنوانٌ للخَوف مِن الآخرين، وعُنوانٌ للمَهانة والمذلّة.. والكثرة عنوانٌ للقوّة وللعزّة وللغنى.

● قوله {وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين} مِن الأُمم السالفة، من قوم نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم.. فشُعيب في أيّامه جاءه موسى قبل أن يُبعث وعاش سنوات في بيت شُعيب.. موسى من الخطّ الإبراهيمي، وأمّا شُعيب فهو من الخط الآدمي. (وهنا تلتقي النبّوة الآدميّة والنبوّة الإبراهيمية حين يأتي موسى في بيت شُعيب النبي)

(المُفسدون) هم الذين مرّ الحديث عنهم.. هؤلاء هم الذين خالفوا أوامر أنبيائهم، هؤلاء من قوم لوط لم يبقَ منهم شيء، أمّا من قوم عاد فقد بقيت منهم بقيّة مع هود النبي.. والمؤرّخون يقولون أنّها انقرضتْ.

■ قوله: {وإنْ كان طائفةٌ منكم آمنوا بالذي أُرسلتُ به وطائفة لم يُؤمنوا فاصبروا حتّى يحكم اللهُ بيننا وهو خير الحاكمين}

لماذا تجرّوننا للصراع؟ فهؤلاء يقعدون بكلّ صراط أي في كلّ طريق، ويُهدّدون ويصدّون أي يمنعون عن إقامة العبادة، والطقوس.. يُضيّقون على أتباع شُعيب، بعبارة أخرى: لا حُريّة للأديان! يمنعون دينهم.

{ولا تقعدوا بكلّ صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله مَن آمن به وتبغونها عِوَجا} نحنُ لا نُريد أن نصطدم بكم، دعونا في حالنا وأنتم في حالكم.

{وإنْ كان طائفةٌ منكم} الطائفة مجموعة (قلّت أو كثرت).

● قوله: {حتّى يحكم اللهُ بيننا وهو خير الحاكمين} يحكم الله بحسب السُنن الكونية وقوانين الحياة، وإلّا ليس هناك مِن حُكومة على الأرض يذهبون إليها كيّ يتحاكموا عندها.وواضح في كلمات شعيب النبي في بقية الآيات أنّ هناك حديث عن السُنن اليومية.. فهو لم يكن في مواجهة ومُقابلة مع أولئك الذين يُضيّقون عليه وعلى أتباعه، وإنّما يُريد منهم أن يتركوا الأمر هكذا للحوار وللمُناقشة وللأسباب الطبيعية (بعنوان آخر: البقاء للأصلح). ■ قوله: {قال الملأ الذين استكبروا مِن قومه لنُخرجنَّكَ يا شُعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودُنَّ في ملتنا قال أولو كُنّا كارهين} الذين استكبروا هو حديث عن زعامات الدين والسياسة والدراهم والدنانير.

وهذه التعابير {لنُخرجنَّكَ يا شُعيب} وكذلك التعابير التي مرّت في الآيات السابقة {أخرجوهم من قريتكم} هذه التعابير تُشير إلى أنّ القوّة بيد الطرف الثاني وليست بيد أهل الحقّ.. لو كان أهل الحقّ بيدهم القوّة لما استطاع أولئك أن يُصدروا هذا القرار، ثُمّ يُبادرون إلى تنفيذهِ.

• قوله: {أو لتعودُنَّ في ملتنا} المِلّة هي الديانة والعقيدة.

• قولهِ: {قال أولو كُنّا كارهين} حتّى لو كنّا نرفض ونكره ونُبغض مِلّتكم أتجبروننا وتُكرهوننا على ذلك؟

■ قوله: {قد افترينا على الله كذباً إنْ عُدنا في ملّتكم بعد إذْ نجّانا الله منها وما يكون لنا أن نَعود فيها إلّا أن يشاء الله ربُّنا وسِعَ ربّنا كلّ شيء عِلماً على الله توكّلنا ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين}

النبي هنا يتحدّث بلسانه ولسان قومه الذين آمنوا معه.. فيقول: لا يُمكن أن نعود إلى ملّتكم لسببين:

• السبب الأول: ملتكم ملة ضلال، ونحن عرفنا الحقيقة

• السبب الثاني: إنّنا نفتري على الله الكذب إذا ما عُدنا إلى ملّتكم.

● قوله: {وما يكون لنا أن نَعود فيها إلّا أن يشاء الله ربُّنا} المقصود من قوله {إلّا أن يشاء الله} مِن الجهة التكوينية لا مِن الجهة التشريعية.. فالنبيّ شعيب هنا يُريد أن يقول: لن نعود إلى ملّتكم؛ لأنّ ملّتكم ضلال، والله سُبحانه وتعالى قد نجّانا منها، وإذا عُدنا فإنّنا نفتري الكذب على الله فلن نعود إلى ملّتكم إلّا إذا أرجعنا الله، إلى هذه المِلّة الضالّة، وقطعاً لن يكون ذلك إلّا بسبب أعمالنا (قوانين التوفيق والخذلان).

● {وسِعَ ربّنا كلّ شيء عِلماً} مَردُّنا إليه، وما عندنا مِن دين فهو منه..الجهة التي نلجأ إليها جهة العلم، وما عندنا من دين فهذا الدين دين العلم لا هو خرافات ولا هو جهالات.

● {ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين} هذا لسان شُعيب النبي، دعاءٌ واضح وصريح، إنّها المُنازلة فيما بين الله وبين هؤلاء القوم المُفسدين.. ودُعاء النبي شُعيب سيتحقّق، سيتحقّق الفتح وتنطوي صفحة الفساد هذه من على وجه الأرض في مقطع زماني معيّن وينجو شُعيب والذين معه. أمّا لسان الملأ الذين استكبروا فيقولون:

{وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شُعيباً إنّكم إذاً لخاسرون} أي خاسرون على وجه القطع واليقين؛ لأن المال والقوّة كانت بأيدي الطرف الثاني، الطرف الثاني يتصوّر أنّه بالمال والقوّة التي عنده يستطيع أن يُحقّق كلّ شيء، هذا مصداق من مصاديق {غرّتهم الحياة الدُنيا} فإنّ الحياة الدُنيا إذا ما نلنا فيها شيئاً والتصقنا بذلك الشيء الذي نلناه ننسى كلّ شيءٍ وراء ذلك.. هكذا غرّت الدنيا أبناءها، فإنّ الدُنيا قد غرّت أبناءها ثُمّ أكلتهم بعد ذلك! النتيجة هي: {فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين}.

هذا الكلام مرّ بنفس هذا المضمون، بل بنفس هذا التعبير في الآية 78 من سورة الأعراف في قوم ثمود {فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين} وهذه الآية هنا (الآية 91 من سورة الأعراف) هي في قِصّة شعيب النبي

● الرجفة هزّة وصوت مُخيف ورعب في النفوس ثُمّ بعد ذلك أن يتهدّم كلّ شيء من حولهم.. والجاثم هو الذي لا يقف على قدميه! إمّا أن يكون برك على رُكبته، أو سقط على وجههِ.

■ قولهِ: {الذين كذبوا شُعيباً كأن لم يَغنَوا فيها - أي يُقيموا - الذين كذّبوا شُعيباً كانوا هُم الخاسرين} ليس الحديث هنا عن غنى الأموال. المغنى: هو الوطن. أولئك الملأ المُستكبر كانوا يُهدّدون بإخراج شُعيب والذين معه، وكانوا يقطعون الطريق عليهم ويُضيّقون الخِناق على المؤمنين.. الدنيا هكذا.. الصالحون يذهبون والطالحون يذهبون.

■ قوله: {فتولّى عنهم - ابتعدّ وقال يا قوم لقد أبلغتُكم رسالات ربّي ونصحتُ لكم فكيف آسى على قوم كافرين} تولّى عنهم: أي ابتعد عنهم، فهذه ديارٌ قد حلّ فيها العذاب.. والديار التي حلّ فيها العذاب هذه مناحس الأرض.

● {فكيف آسى على قوم كافرين} آسى من الأسي وهو الحُزن.. هم ذهبوا إلى هذه النهاية بأرجلهم، هم اختاروا هذا الطريق.

عواقبنا نحنُ نرسمها.. صحيح أنّنا بحاجة إلى توفيق من إمام زماننا لأنّ المُقدّمات التي تُشكّل العواقب هي بيد إمام زماننا:

(أشهد أنّ بولايتك تُقبل الأعمال وتُزكّى الأفعال وتُضاعف الحسنات وتُمحى السيّئات) هذه مُقدّمات بيده.. نحنُ نعمل ولكنّ هذه الأعمال وهذا السلوك وهذه النوايا لابُدّ من إعادة تأهيلٍ لها بسبب نقصنا فأعمالنا ناقصة. قطعاً هناك أعمال هي أساساً فاسدة كاللّواط، فهذه لا يُمكن أن تُؤهّل، أمّا تكاليفنا الشرعيّة التي نأتي بها كصلاتنا وصيامنا فهذه بحاجة إلى تأهيل من إمام زماننا.. فإذا ما أُهلّت بمجموعها وبنيّاتنا ترتسم العواقب بالنسبة لنا. بهذا قد كمُل الحديث في قصّة نوح النبي، وهود، وصالح، ولوط، وشُعيب، على نبيّنا وآله وعليهم السلام.

● تنتقلُ الآيات بعد ذلك لبيان بعض القوانين والسُنن الحاكمة في حياتنا ولكنّي وعدتكم أن أتحدّث عن هذا العنوان (آلاء الله) سأقف عند هذا العنوان لشرحه وبيانه بحسب ما يسنح به المقام، وبقيّة الحديث في الآيات التي تناولت جانباً من السُنن والقوانين الحاكمة في حياتنا سأتركه لحلقة يوم غد، وستأتينا أيضاً مجموعة وقائع وأحداث ترتبط بتأريخ بني إسرائيل.

■ جاء في الآية 96 في قصّة هود النبي يُخاطب قومه: {فاذكروا آلاء الله لعلّكم تُفلحون} وفي الآية 74 النبي صالح يُذكّر قومه (ثمود) بنفس التعابير. هذا التعبير (آلاء الله) في الكتاب الكريم ورد في سورة الأعراف مرّتين مرّة على لسان هود النبي ومرّة على لسان صالح النبي.. فهذا المُصطلح جاء في قصّة قوم عاد وقصّة قوم ثمود، وجاء أيضاً في سُورة النجم في سياق قصّة عادٍ وثمود {وأنّه أهلكَ عاداً الأولى *وثمودَ فما أبقى* وقومَ نوحٍ من قبل إنّهم كانوا هم أظلم وأطغى* والمُؤتفكة أهوى* فغشّاها ما غشّى* فبأي آلاء ربك تتمارى- أي تُشكّك-}

أيضاً جاء تعبير (آلاء الله) في موطن آخر في الكتاب الكريم في سُورة الرحمن، فقد ورد فيها أيضاً هذا التعبير في قوله تعالى: {فبأي آلاء ربّكما تُكذّبان} هذا التعبير تكرّر 31 مرّة في السُورة.

■ فيما مرّ من الحلقات تحدّثت عن شيئين:

قلتُ هُناك رموز في الكتاب الكريم، وأيضاً تحدّثت عن أنّ القرآن نزل على العبارة والإشارة...

ما سأذكره في بيان معنى (آلاء الله) هو مِصداق مِن مَصاديق التشبّث بأذيال الإشارة، لأنّ التفسير في مُستوى الإشارة يكون بنحو أعمق مِن هذا الذي سأذكره. ومحاولة الخروج من سُلطة العبارة.

■ وقفة عند حديث الإمام الصادق مع داود الرقي في [تفسير البرهان: ج1] والذي يُعطينا قاعدة قرآنية يُبيّنها الإمام "عليه السلام"

(عن داود بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله أنتم الصلاة في كتاب الله عزّ وجل؟ وأنتم الزكاة؟ وأنتم الحج؟ فقال: يا داود نحنُ الصَلاةُ في كتابِ الله عزّ وجل ونحنُ الزكاة، ونحنُ الصيام، ونحنُ الحجّ، ونحنُ الشهْر الحرام، ونحنُ البلد الحرام، ونحنُ كعبةُ الله، ونحنُ

قِبلةُ الله، ونحنُ وجهُ الله، قال الله تعالى: {فَأينما تُولّوا فثمَّ وجْه الله}. ونحنُ الآياتُ ونحن البينات، وعدوّنا في كتابُ الله عزّ وجلّ الفحشاءُ والمُنكر والبغي والخَمْر والمَيسر والأنصابُ والأزلام والأصنام والأوثان والجبتُ والطاغوتُ والمِيتةُ والدم ولحمُ الخِنزير، يا داود إنَّ الله خَلَقنَا وأكرمَ خَلْقنا وفَضَّلَنا وجَعَلنا أُمناءه وحَفَظَتهُ وخزّانهُ على ما في السماوات وما في الأرض، وجعلَ لنا أضداداً وأعداءً فسمّانا في كتابهِ وكنّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبّها إليه تكنيةً عن العدوّ - أي إخفاءً عن العدو- وسمّى أضدادنا وأعداءنا في كتابه وكنّى عن أسمائهم وضربَ لهم الأمثال في كتابهِ في أبغضِ الأسماء إليهِ وإلى عبادهِ المُتّقين). الرواية هنا لا تُريد أن تحصر أسماء أهل البيت بهذه الأسماء.. فقد ورد في كتاب "اللّوامع النورانية" أكثر من ألف اسم لهم "صلواتُ الله عليهم" وحتّى هذا العدد ليس حصراً لأسمائهم.. فهناك الكثير من الروايات لم تصل إلينا. ● قول الإمام (نحنُ الصَلاةُ في كتابِ الله، ونحنُ الزكاة، ونحنُ الصيام، ونحنُ الحجّ...) هذه الأسماء هي على نحو الحقيقة في طبقة الإشارة. ● كلّ العناوين الدالة على الحُسن والجمال هي من أسمائهم "صلوات الله عليهم" وكُلّ العناوين الدالّة على القُبح والمُنكر هي مِن عناوين أعدائهم، هذا إذا كان في الأوصاف.. ولكن في الأسماء كذلك، كما يقول أمير المؤمنين في خُطبه الافتخارية: (أنا آدم، أنا نوح، أنا موسى، أنا عيسى، أنا إبراهيم، أنا الخِضر..) كذاك فرعون والسامري وعاد وثمود وبقية الأسماء.. هي في أعدائهم.. هذه القضية واضحة والروايات الشريفة تحدّثت عن ذلك. فالسامري وقارون وهامان وفرعون والبقيّة الباقية هي من أسماء أعدائهم.. صحيح أنّ فرعون هو اسمٌ لشخص كان في زمان موسى، ولكن القُرآن في طبقةِ الإشارة يُشير إلى أعدائهم. فرعون في طبقة العبارة هو "فرعون موسى"، وفي طبقة الإشارة هو اسمٌ لعُتاة أعدائهم، وكذلك هذا العنوان: عاد وثمود.. عاد وثمود هي عناوين لأعدائهم

● أمّا في سورة الرحمن فهذا التعبير له خصوصية: {فبأي آلاء ربّكما تُكذّبان} هذا العنوان (آلاء الله) قطعاً رمز فالقرآن مشحونٌ بالرموز، والقرآن أهمّ أسراره: رموزه وعلى أساس رموزه نستطيع أن نفهم الحقائق القرآنية، وهذهِ الرموز يُحدّثنا عنها سيّد الأوصياء في كتاب [الاحتجاج] فيقول:

(وإنّما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمُها غيره وغيرُ أنبيائه وحُججه في أرضه لعلمه بما يُحْدثه في كتابه المُبدّلون..)

هناك رموز تبتني عليها هندسة القرآن ومِن خلال هذهِ الرموز نستطيع أن نستكشف المَعاني والحقائق.

فعنوان آلاء الله جاء مذكوراً في سورة الأعراف مرّتين، مرّة في خطاب من النبي هود لقومه عاد يُطالبهم أن يذكروا آلاء الله، ومرّة في قوم ثمود نبيّهم صالح يُطالبهم أن يذكروا آلاء الله.. وهذا يعني أنّ قوم عاد لا يذكرون آلاء الله، ولكنّهم على معرفة بها ولذلك يُطالبهم نبيّهم أن يذكروا آلاء الله، وكذلك الأمر بالنسبة لقوم صالح.. فآلاء الله عند قوم عاد وعند قوم ثمود ولكنّهم في حالة إعراض عن آلاء الله هذه.

■ ما المراد من آلاء الله؟ وقفة عند مجموعة من الروايات التي تشرح معنى آلاء الله في [تفسير البرهان: ج7]

● (عن الإمام الصادق في قوله تعالى: {فبأيّ آلاء ربّكما تُكذّبان} قال: بأيّ نعمتيّ تُكذّبان؟ بمحمّد أم بعلي فبهما أنعمتُ على العباد)

● (عن أبي بصير قال: سألتُ أبا عبد الله عن قول الله عزّ وجلّ: {فبأيّ آلاء ربّكما تُكذّبان} قال "عليه السلام": قال الله فبأيّ النعمتين تكفران بمحمّد أم بعلي)

● (عن الإمام الصادق أيضاً في قوله تعالى: {فبأيّ آلاء ربّكما تُكذّبان} قال: أبالنبيّ أم بالوصيّ تُكذّبان؟ قال: نزلتْ في الرحمن) أي نزلت في سورة الرحمن فهذا مُستوى من مُستويات التنزيل، فالقرآن له عدة نزولات. الروايات كثيرة ووفيرة في هذا المضمون، ليس بهذا اللّفظ ولكن إذا ما جمعنا نصوص المعصومين فيما يرتبط بالشؤون القرآنية ستكون الصورة أوضح وأوضح وأوضح.

● {فبأيّ آلاء ربّكما تُكذّبان} الخطاب هنا مُثنى.. بحسب السياق التنزيلي فإنّ الخطاب للجن والإنس، على سبيل المثال:

{سنفرغُ لكم أيّها الثقلان* فبأيّ آلاء ربّكما تُكذّبان* يا معشر الجن والإنس إنْ استطعتم أن تنفذوا مِن أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان} ويستمر الحديث عن الجن والإنس إلى آخر الآيات في سورة الرحمن.. فبحسب السياق التنزيلي وبحسب طبقة العبارة فإنّ الخطاب موجّهٌ هنا للجنّ والإنس، ولكن بحسب طبقة الإشارة وبحسب مرحلة التأويل فالمعنى يختلف. الدين انتقل إلى مرحلة التأويل التي قاتل عليها عليّ "عليه السلام"، وبيعة الغدير كانت على التأويل وليس التنزيل.

● {فبأيّ آلاء ربّكما تُكذّبان} هذا خطاب للأوّل والثاني.. وحينئذٍ يتجلّى المعنى بشكلٍ واضح.. {فبأيّ آلاء ربّكما تُكذّبان} أي: بمحمّد أم بعليّ تُكذّبان؟! فآلاء ربّك هم "صلوات الله عليهم".

● ما جاء في سورة القيامة {وجوه يومئذ ناضرة - من النضارة والجمال - * إلى ربّها ناظرة - تنظر إلى ربّها-} (إلى) هنا ليست حرف جر.. (إلى) عند آل محمّد هي مُفرد من (آلاء).

■ وقفة عند حديث الإمام الصادق في [تفسير البرهان: ج8]:
(في قوله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة} أي مُشرقة، {إلى ربّها ناظرة} قال: ينظرون إلى وجه الله عزّ وجل، يعني: إلى رحمة الله ونعمته) فـ(إلى) هي مُفرد من كلمة آلاء.. فآلاء الله محمّد وعلي، وهود هنا يُذكّر قومه بهما وصالح كذلك.. وتلك الأمم قد كُلّفت بهذه العقيدة والسبب في ذكر هذه الأُمم: لأنّها قد كُلّفت بنحوٍ أقوى من سائر الأمم والنبّوات التي لم تُذكر.. لأنّ النبوّات الأخرى كُلّفوا بولاية محمّد وعليّ ولكن ليس بالمُستوى الذي كُلّفتْ به هذه الأمم التي ذُكرتْ في القرآن. وهناك نسق قرآني دقيق في منظومة الإشارة.. فعاد مِن أسماء أعداء الله، عادٌ وثمود تُشير إلى قتلة الزهراء (الذي أمر بقتلها هو الأوّل والذي باشر قتلها هو الثاني).

■ ثمود في مرحلة العبارة قتلوا الناقة وقتلوا فصيلها، وثمود في مرحلة الإشارة قتلوا فاطمة وقتلوا مُحسنها..! عندنا روايات وأحاديث عن رسول الله وآله الأطهار تصدعُ بهذه الحقيقة.. وبعض هذه الروايات موجود في كُتب المُخالفين من أنّ فاطمة ستُقتل!
وهناك روايات وردت عن النبي في كُتبنا وكُتب القوم وهو يتحدّث عن أهل بيته فيقول: (أنّ مصارعكم شتّى) والمصارع تعني أنّهم سيُقتلون.
عليٌ قُتِل، والحَسن قُتِل، والحُسين قُتِل، وفاطمة قُتلت أيضاً..! هذه الكلمة (مصارع) لا تُقال إلّا للقتلى.

● هناك روايات صريحة عندنا تقول أنّ فاطمة قُتِلتْ وأنّها ماتت مِن الضرب.. لقد ضربوها ضرباً إلى الحدّ الذي اعتلّتْ وتجرّعتْ الآلام وكُسّر ضِلعها وأسقطتْ جنينها!

■ وقفة عند حديث الإمام الصادق في كتاب [الاحتجاج للطبرسي] جاء فيه:
(لمّا استُخرج أمير المُؤمنين مِن منزله، خرجتْ فاطمة "صلوات الله عليها"...) إلى أن تقول الرواية: (فقالت لهم: خلّوا عن ابن عمّي، فوالذي بعثَ مُحمّداً أبي بالحق إنْ لم تُخلّوا عنه لأنشرنَّ شعري ولأضعنَّ قميص رسول الله على رأسي، ولأصرُخنَّ إلى الله تبارك وتعالى، فما صالحٌ بأكرم على الله من أبي، ولا الناقة بأكرم منّي، ولا الفصيل بأكرم على الله مِن ولدي..)

● ذكرتُ فيما تقدّم من أنّ الناقة هي ناقة الله، وهي آية مِن آيات الله، وهذه سلسلة الآيات تعود إلى الآية العُظمى، فهذه الآيات آثارهم ومظاهرهم، وهذه منظومة الإشارة ففاطمة أشارت إلى فصيل الناقة.
الروايات تُحدّثنا أنّ عاقر الناقة لمّا عقرها تقاسموا بينهم لَحمها وأكلوه.. وحين رأى الفصيل أُمّه تُذبح فرّ إلى الجبل، ورفع رأسه إلى السماء وصدرت منه أصوات تتقطّع منه القلوب، ورغم ذلك قصدوه وكان صغيراً وقطّعوه وقتلوه!!

● وقفة عند حديث الإمام الباقر في [بحار الأنوار: ج45] وهو يُحدّثنا عمّا قاله سيّد الشهداء حين ذبحوا عبد الله الرضيع على صدره، يقول بعد أن قذف الحسين دم الرضيع إلى السماء: (فلم يسقط مِن ذلك الدم قطرة إلى الأرض) ثُمّ قال: (لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح، اللّهم إن كُنت قد حبست عنّا النصر فاجعل ذلك لِما هو خيرٌ لنا).
فالذي ذبح الرضيع هو ثمود أيضاً، هو عدّو فاطمة وآل فاطمة. حرملة كان آلة.. فمنطق أهل البيت أنّ الحُسين قُتِل يوم كُتِب الكتاب كما في [الكافي الشريف: ج1] عاد وثمود ومن معهما هم الذين كتبوا الكتاب.
ولذا سيّد الشهداء بعد أن رموه بالسهم المُثّلث، تقول الرواية في [بحار الأنوار: ج45]: (ثُمّ وضع يده ثانيا فلما امتلأت لطّخ بها رأسه ولحيته وقال هكذا أكون حتّى ألقى جدّي رسول الله وأنا مَخضوبٌ بدمي وأقول يا رسول الله قتلني فلان وفلان). قطعاً الإمام ذكر أسماءهما وهذا التحريف من الرُواة ومِن الكُتب.

● العقيلة "صلوات الله عليها" بعد أن جرى ما جرى في عاشوراء وهجموا على الخيام رفعت صوتها: (يا محمّداه، بناتك سبايا، وذُرّيتك مُقتّلة تسفي عليهم ريح الصبا، وهذا حُسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والردا، بأبي مَن عسكره يوم الإثنين نهبا)
الحُسين لم يُقتل في يوم الإثنين، وإنّما السقيفة عُقدتْ في يوم الإثنين!
وهذا الرمز ثمود ليس فقط يُشير إلى أعداء فاطمة الزهراء، وإنّما ينطبق أيضاً على كُلّ مَن سار في هذا الطريق مِن الشيعة ومن السُنّة.

● سورة الشمس تتحدّث عن ثمود: {كذّبتْ ثمود بطغواها* إذ انبعثَ أشقاها* فقال لهم رسول الله ناقةَ الله وسُقياها* فكذّبوه فعقروها فدمدم عليهم ربّهم بذنبهم فسواها} إذا عدنا إلى سُقيا الناقة وإلى رضيع الحُسين نجد أنّ فصيل الناقة ذبحوه بعد أن شَرِب.. أمّا رضيع الحُسين فذبحوه دُون أن يشرب الماء! الذين قتلوا علياً هم الذين قتلوا الحُسين.

■ وقفة عند حديث الإمام الصادق في [تفسير البرهان: ج8]
(في قوله تعالى: {كذّبت ثمود بطغواها}، قال: ثمود رهطٌ مِن الشيعة، فإنّ الله سُبحانه يقول: وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون وهو السيف إذا قام القائم)

بطغواها: هذا طُغيان العلم، فإنّ للعلم طُغياناً كطُغيان المال.. وإنّ من العلماء جبابرة (هكذا ورد في الروايات).